الفصل الخامس

ألـوان الانتمـاء.. وأنواعــه

ألوان الانتماء وأنواعه.

مفهوم الانتماء للوطن.

قيمة المواطنة.

الولاء والانتماء الوطنى.

مظاهر الانتماء الإيجابية والسلبية.

أزمة الانتماء فى مصر.

الانتماء.. والأسرة.

الانتماء.. والعقل.

الانتماء.. والوجدان.

الانتماء.. والحب.

الانتماء.. والإحساس بالتوازن النفسى.

الانتماء.. والجدل والحوار.

الانتماء.. والقدرة.

الانتماء الاجتماعى.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الخامس
ألـوان الانتمـاء.. وأنواعـه

ألوان الانتماء وأنواعه

الانتماء أشكال وألوان متعددة وقد تأخذ صورًا مختلفة ومنها:

- الانتماء الوطنى:

يعتبر من أوضح نماذج التوحد مع المجتمع حيث يلاحظ تأثير شخصية الأمة "Notional Character" على شخصية الفرد وتطابق شخصيته مع النمط الثقافى السائد. أما إذا لم يتوفر دافع الانتماء يصبح الفرد فى حالة حياد عاطفى بالنسبة للآخرين أو المجتمع، والشخص غير المنتمى قد انفصل عن ماضية وحاضرة ولم يعد يهتم بمستقبلة.

الانتماء فى الدين:

بأخذ الانتماء إلى المذهب والطائفة الشكل الأبرز وهنا قد يكون الانتماء، ولا سيما فى وقتنا الحاضر لقبًا، صفة تطلق وهى ليست تعبيرًا دقيقًا عن الموصوف وقد لا يعرف هذا الموصوف من نعته إلا الاسم وعندما يزداد التخلف تصبح هذه الصفة لازمة ومرافقة شاء صاحبها أم أبى. كذلك فى المسار الأخوى تتحدد الانتماءات وتصنف الاتجاهات وتأخذ شكلها الموضوعى.

الانتماء فى الأدب:

هذا ينتمى إلى المذهب وذاك إلى آخر وهذا الشاعر ينتمى إلى مدرسة الشعر التقليدى الكلاسيكى وذاك إلى الحديث.

الانتماء وفى السياسة:

يأخذ الانتماء إلى التنظيمات السياسية بتجلياتها «الأحزاب» الشكل الأوضح وفى حالة أرقى إلى القيادات الأوسع منها القومى ومنها الدينى ومنها الرأسمالى

obeikandi.com

والاشتراكى وتتعدد أيضًا المسميات والتقسيمات بتفرعاتها، وفى مجرد الحياة يعبر عن الانتماءات الإنسانية بالسلوك والممارسة، الحب انتماء، وممارسة السلوك والأخلاق العامة انتماء، وخرق المألوف الاجتماعى انتماء... إلخ.

- **الانتماء الاجتماعى:**

الشعور بالانتماء للمجتمع من أهم دعائم المجتمع والتى تحافظ على استقراره ونموه وهو يشير إلى مدى شعور أفراد المجتمع بالانتماء إلى مجتمعهم، والانتماء الاجتماعى يحدد طبيعة علاقة الفرد بالجماعة فى كل زمان ومكان يقابله على الضد تمامًا مفهوم الاغتراب الذى يعنى الابتعاد النفسى للفرد عن ذاته وعن مجتمعه.

- **الانتماء المحلى والانتماء العالمى:**

إن الانتماء هو دمج الذات الفردية فى ذات أوسع منها ليصبح الفرد بهذا الدمج جزءًا من أسرة أو من جماعة أو من أمة أو من الإنسانية كلها ولكن هذا الدمج إذا صدر عن إيمان وإخلاص وجب على الفرد أن يحميه حتى وإن إقتضى الأمر التضحية بالروح وهكذا يكون الانتماء الصحيح لا يكون لشخص بقدر ما يكون لقضية معينة أو لفكرة أو لعقيدة دينية أو غير ذلك مما يحيا الإنسان من أجله ولا يعيش إلا به كأن يكون شعارًا بالروح بالدم نفديك يا مصر «وبالنسبة لقضية الانتماء لمصر فهذا الشعور موجود فى قلب كل مصرى وهذا الشعور أعمق عند الشباب من غيره بحكم مرحلة المثالية التى يعيشها الشباب.

أنواع الانتماء:

يرى بعض العلماء أن من أهم أنواع الانتماء ما يلى:

أ ـ الانتماء الغريزى:

الغريزة سلوك نمطى يغطى جميع أفراد النوع من الكائنات الحية بحيث لا تكاد تكون هناك فروق فردية بين أفراد ذلك النوع فيما يبدونه من سلوك غريزى والغريزة قد تظهر منذ اللحظة الأولى من حياة الفرد من النوع أو قد تظهر فى مرحلة عمرية معينة قبل ذلك.

ب ـ الانتماء الاجتماعى:

إن البشر كائنات اجتماعية، مخلوقات تتجمع سويًا ويعتمد كل منهما على الآخر جسميًا أو نفسيًا عبر الحياة، فالعلاقات الوثيقة مع الآخرين تبدو من الضروريات وهى أمور تتكامل مع بقاء الإنسان ورفاهيته فالبشر قادرون على تقديم كل منهم للآخر أعظم مسرات الحياة وأفراحها وكذلك أحزانها العميقة كما أن بإمكانهم إعطاء نوع من التعاطف والتأكيد والحماية من الأخطار وبالتالى فإن حاجة الفرد للآخرين تكمن فى مساعدته على مشاكله وإرضاء حاجاته التى لا يستطيع حلها وإرضاءها بمجهوده الخاص فيشعره بالأمن ويزيدوا من احترامه لنفسه، وتبرز أهمية الانتماء على المستوى الاجتماعى هو العمود الفقرى للجماعة وبدونه تفقد الجماعة تماسكها وتماسك الجماعة هو انجذاب الأعضاء لها والذى يتوقف على مدى تحقيق الجماعة لحاجات أفرادها فطالما أن الجماعة تحقق حاجات الفرد فإن بإمكانها أن تؤثر على أفكاره وسلوكه عن طريق تلك الفوائد التى يحصل عليها من جراء انتمائه لها والمتمثلة بالآتى:

- تحقيق الرغبات الشخصية والاجتماعية التى يعجز الفرد عادة عن تحقيقها بمفرده.
- الشعور بالانتماء إلى جماعة تتقبله ويتقبلها فيشعر بالأمن والطمأنينة.
- يمكن تغيير سلوك الفرد عن طريق الجماعة، فكل جماعة لها معاييرها وقيمها التى يتحتم على الفرد المنتمى إليها اكتسابها.
- ويتمكن الفرد عن طريق انتمائه للجماعة من اكتساب الميراث الثقافى الذى يمكنه من التفاعل إيجابيًا مع أفراد مجتمعة.
- تساعد الجماعة الفرد على ممارسة أنواع من النشاط، يستغل فيه كفايته ويكتشف كفايات أخرى.

أما أهمية الانتماء على المستوى النفسى، فتبرز من خلال كثرة المتغيرات النفسية المرتبطة به والتى كشفت عنها نتائج العديد من البحوث والدراسات منها:

- العلاقة بين حاجة الفرد للانتماء ولا تشابه بين الأشخاص حيث ظهر أن للجماعة ميولًا انتمائية نحو الشخص الذى يتفق أو ينسجم معهم فى اتجاهاته

وفى ما يظهره من مفاهيم قيمية مشابهة لتلك القيم التى يحملونها بخصوص موضوع ما.

- الكشف عن السلوكيات التعبيرية المرتبطة بإرضاء الحاجة للانتماء حيث توصلت إلى أن كشف الذات هو واحد من هذه السلوكيات وأن الأشخاص ذوى الحاجة العالية للانتماء هم أكثر كشفًا للذات من الأشخاص ذوى الحاجة المنخفضة.
- أما تأثير الجنس على الحاجة للانتماء فقد أظهرت الدراسات إلى أن الإناث بالمقارنة مع الذكور هن أكثر تحسسًا لمشاعر الآخرين وأكثر إدراكًا. واستيعابًا لحاجاتهم ورغباتهم، وأن هذا يقربهن من الآخرين ويؤدى إلى إشباع حاجة الانتماء لديهن.

إن الانتماء هو أولًا وأخيرًا انتماء لجماعة من البشر قد يتسع نطاق هذه الجماعة لتصبح الأمة كما قد يضيق نطاقها لتصبح العائلة الكبيرة أو الصغيرة أو حتى أضيق من ذلك فى بعض الأحوال المرضية وتبدأ عملية الانتماء منذ الطفولة الأولى.

ومن أنواع الانتماء أيضًا ما يأتى:

١- الانتماء الإيجابى: يحمل معنى كيفى وليس كمى:

معناه: أن الإنسان يعيش فى المجتمع الذى يعد أنه ينتمى إليه على مستوى من الوجود والاحتياج ملائم لسنة ولذكائه وملائم لواقعه بما فيه من تحولات وتغيرات وبما تمليه متطلبات هذا الواقع المتغير منه وبتوازن فيكون إيجابى لأن له دور يعبر عن إسهام الفرد وتفرده وروؤيته.

٢- الانتماء الحديث:

يظهر فيه تأثير التغيرات والتحولات الاجتماعية على الفرد وأسلوب حياته يتضح تأثره بما يلائمه من عولمة وتحديث ثقافة تطلعات مستقبلية من خلال إنتقاء واختيار واعى يعبر عن وعيه بذاته ـ أهدافه ومعنى وجوده.

٣- الانتماء التقليدى:

يعبر عن عدم قدرة الفرد انتقاء ما هو ملائم ونافع.

مفهوم الانتماء للوطن

الانتماء إلى الوطن يعنى حب الوطن والدخول إلى الوطن فما أجمل الوطن والانتماء إليه وهو شعور جيد الوطن الذى عاش فيه الإنسان وتربى وتعلم وعبد الله فيه واستفاد من خيراته ومنافعه فهذه أسباب ودوافع تجعل الإنسان يحب وطنه ويدافع عنه ويجلب الخير له ويحمى أهله، ويحافظ على خيراته وسلامة ممتلكاته، لأن كل خير فى هذا الوطن يشترك الجميع فى منافعه. فحب الوطن والحنين إليه أمر فطرى لدى الإنسان... وقد أخبر الله فى كتابه العزيز ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾.

فليحمد العبد ربه وليشكره على تيسير ما أمره به من الأوامر وما أفاض عليه من النعم حيث جعل الله للإنسان وطنًا يستقر فيه ومن العجب أن ترى بعض الناس يتنكرون لأوطانهم فلا تجد عنده حبًا ولا انتماء للوطن الذى نشأ وتربى على أرضه وبل وصل الحال ببعضهم أن يجعل ذلك من القضايا المخالفة للدين ويصفون من يتحدث عن هذا بالعصبية والوطنية وغير ذلك من الأوصاف وهذا حاصل من ضحالة الفكر.

وكما أن روح الانتماء للوطن تقوى عندما يقلب الشاب نظره ذات اليمين وذات الشمال فى واقع كثير من الناس اليوم فى أوطانهم فيرى أنهم يعيشون فى مشاكل معقدة وفتن وضعف فى الدين وفساد الأخلاق. فإذا رأى الإنسان هذا الواقع المرير فى كثير من الأوطان دعا لإخوانه بصلاح الحال وقوى فى نفسه الحب لوطنه والانتماء له فإذا استشعر كل مواطن هذه القضايا المهمة انطلق فى وطنه ليعمره بالإصلاح والأخلاق والتنمية والأعمار والنهضة والازدهار. كما يجب أيضًا على الآباء والمعلمين والمربين تقوية هذا الجانب لدى الصغار لينشأ على محبة بلادهم ومعرفة حقها وقدرها عليهم وتنمية هذا الجانب فى نفوسهم وفق منهج صحيح من أجل الخير لهم ولمجتمعهم.

قيمة المواطنة

الاعتقاد بأن هناك آخرين اشتركوا معنا فى تقديم الوطن لهم الحقوق نفسها وإن اختلفوا معنا فى دينهم من المعتقدات الهامة ومن الممارسات المهيأة والموصلة لقبول

الذات والوطنية فى مصر. ذلك أن شعور الإنسان بأنه جزء من مجتمع أكبر وأنه يعيش فى وطن له تاريخه وثقافته وتراثه وأنه ينتمى إلى جماعة تشاركة العادات والتقاليد والأحلام والآلام يشعره بالأمان ويحقق له الوجود كما أن تجريده من هذا الشعور يفقده التوازن والاستقرار.

إن الإنسان لا يمكنه العيش بمعزل عن أبناء وطنه وإقامة حياة خاصة به لأنه كائن اجتماعى يحقق له العيش فى جماعة الاستقرار ويمنحه القدرة على التواصل مع الحياة فالوطن يمثل لصاحبه هدفًا أسمى يعنى فقدانه الهوية والإحساس بالضياع وفقدان الإحساس بالوطن يحول أفراد الوطن إلى مجموعة من المتصارعين يسهل عندهم خيانة الوطن والتفريط فيه لأعدائه وأهل الوطن وأن كانوا أصحاب دين آخر يمثلون بعدًا وجدانيًا هامًا يشعر بالدفء والتوافق ويحقق الثقة فى الحاضر والمستقبل فالمواطن الذى يتحقق له الوجود على أرض وطنه وبين مواطنيه يعمل لصالح الوطن أو المواطنين فتنصب آماله وأعماله حول نفسه ولصالحها.

إن الإحساس بالمواطنة هو اللبنة الأولى فى بناء المواطن الصالح الذى يحقق تفرده فى إطار تحقيق الذات العامة لوطنه والمواطنة وأن إحساس الإنسان بأنه يحصل على حقوقه فى وطن اشترك هو وأبناؤه وأجداده فى قيامة ككيان له استقلالية وتفرد يحمله على حب الوطن والمواطنين والاستعداد للعمل بجوارهم والتضحية فى سبيلهم وأن تدين بدين غير دينهم.

إن الرابطة الإنسانية التى ينتسب إليها المسلم والمسيحى فى مصر والهوية المصرية لكليهما هى ما يجب الإعلاء من شأنه والاعتزاز بالانتساب إليه كما أن التاريخ المصرى الذى ساهم كل المصريين فى صناعته والحضارات المصرية بما فيها الحضارتان الإسلامية والقبطية هى ما يحتاج أبناء الشعب المصرى إلى إدراكه إدراكًا تامًا وهناك حقيقة أساسية فى التاريخ المصرى وهى أن الانفصال بين الحاكم والمحكومين استمر على مدى آلاف السنين وأن الأمر الهام فى الحركة الدستورية المصرية أن مراحلها المتتابعة سار إنجازها بواسطة جميع مكونات الجماعة باشتراك المسلمين والأقباط معًا كتفًا إلى كتف وذلك أن مبدأ المواطنة ليس ذا طبيعة قانونية فقط ولكنها ثمرة لحركة

تقوم بها الجماعة لاستخلاص حقوقها حتى تتحول الأرض إلى وطن، والإنسان إلى مواطن.

إن حصول مجموعة من الأفراد على حقوق متساوية أثناء وجودهم على مساحة ما من الأرض عملية تتطلب مجموعة من الشروط الموضوعية والمبررات العقلية ومنها:

١- أن يعيش هؤلاء الأفراد على هذه المساحة من الأرض مدة كبيرة من الزمن يشكلون عليها مجتمعًا متكاملًا له تقاليده وعاداته وأساليب حياته الخاصة.

٢- أن يدافع هؤلاء الأفراد عن أنفسهم وعن أرضهم ولغتهم وفكرهم وتراثهم ضد أى عدو يحاول اغتصاب أى من هذه الأشياء.

٣- أن يشترك هؤلاء الأفراد فى مسيرة تقدم أنفسهم وأرضهم حتى لا يكونوا فى حاجة إلى غيرهم.

٤- أن ينتسب هؤلاء الأفراد إلى أصول سلالية واحدة تمتد بهم إلى عدد موفور من السنين.

٥- أن المصريين «مسلمين ومسيحيين» قد عاشوا وما زالوا حول النيل المصرى فى شكل مجموعات متداخلة لا يعزل نوع الدين بعضها عن بعض كما أن هذه الجماعة تحمل العادات نفسها والتقاليد نفسها وأسلوب الحياة نفسه وطريقة العيش.

٦- أن الجماعة المصرية قد بدلت لغتها عدة مرات إلا أنه كان هناك دومًا لغة شعبية واحدة وعندما دخل الإسلام إلى مصر وتحدث المسلمين اللغة العربية أمر بطريرك المسيحيين بتقهقر اللغة القبطية إلى الأديرة والكنائس وأن تصبح اللغة العربية هى لغة الرجل المسيحى وهكذا تحدث المسلمون والمسيحيون اللغة العربية وأصبحت هى لغة الوجدان المصرى لمسلميه ومسيحييه، أى أن التاريخ المصرى يشهد أن الجماعة المصرية قد اشتركت فى الدفاع عن الوطن لاستخلاصه من مغتصبى حكمه على مدى قرون عديدة.

ويذهب الباحثون فى علم الاجتماع إلى تعريف المواطنة فى المجتمع الحديث على أنها علاقة اجتماعية تقوم بين الأفراد والمجتمع السياسى «الدولة» حيث تقوم الدولة

بإعطاء الحماية السياسية والاقتصادية والاجتماعية للأفراد فمن الواضح أن هذا التعريف يتضمن آلية التعاقد فحين يفترض أن تكون الحكومة هى المسئولة عن ترسيخ الشعور بالمواطنة فإنها إذن أخلت بشروط العقد أى إذا لم تؤمن الحماية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للأفراد ولم تساو بينهم عمليًا أمام القانون كان من الطبيعى أن يخف إحساس الأفراد بشعور المواطنة والولاء لقانون المجتمع.

الولاء والانتماء الوطنى

الانتماء الوطنى لن يكون إلا عندما يشعر المواطن أنه ينتمى لوطن، لا يتم التجاوز على حقوقه المشروعة، فالوطن هوية المواطن وشخصيته، وعندما لا تعد هذه الهوية صالحة، يلقى بها المواطن على قارعة الطريق، ليلتقطها من يريد المتاجرة بها، وعلى العكس عندما يشعر المواطنون أنهم شركاء متساوون، ولا فضل لأحد على آخر إلا بما يقدم من أجل الوطن أفضل من الآخرين، أما هؤلاء النهاشين من خيرات الوطن والمواطنين، لا انتماء لهم ولا هم مواطنون، حتى يستأصل الفساد من نفوسهم، ويعيدون للوطن ما نهشوه.

كما أن الولاء والانتماء يكتسبان ولا يفرضان فرضا، والانتماء والولاء يغرسان فى نفس المواطن، ويعزز غرسهما فى ممارسة المواطن لحقوقه المشروعة، بدون نقص أو تجاوز عليها، وإلا فأن الحديث عن الانتماء والولاء كصرخة فى واد، لا تستجيب لها نفس ولا تسمعها أذن.

إن الدولة التى تنشد الولاء وتطالب بالانتماء الوطنى، وهو حق مشروع لها وللمواطن، عليها أن تعى أن المواطن الذى تغتصب حقوقه وتنتهك كرامته ويحارب فى رزقه وقوت أطفاله، لا يمكن أن يقدم الطاعة، لاناس يغتصبون سيادته ويعاملونه كعبد أو تابع ذليل، وفى أحسن الأحوال مخبر صغير كما هم كتبة المناسبات المسمومة. وعلى دولة الجهاز القمعى أن تتخلى عن النظر إلى المواطنين، أنهم قطيع من المخبرين، الذين لا بد وأن تمتهن كرامتهم بالتبعية الذليلة، وأن الأجهزة الأمنية هى لحماية الوطن والمواطنين والنظام السياسى، وليس لقمع الناس وتحويلهم لأتباع مأجورين بأبخس الأثمان. إن المواطنين الذين تمتهن كرامتهم، لن يكون لولائهم أية قيمة، ولن

يكون لانتمائهم أى صدى، لأن فاقد الشىء لا يعطيه، ومن كانت كرامته مهدورة بالرضا أو بالضغط، فإن ولاءه مهدور، لا يسمن ولا يغنى من جوع وهو ولاء خادع كاذب.

هوية الإنسان العربى:

هوية الإنسان فى الوطن العربى تتحدد بثلاث أبعاد رئيسية ومتداخلة ومتكاملة «الولاء ـ الانتماء ـ الاعتزاز بالأمة».. وسوف نتحدث بشىء من الإيجاز خلال العرض التالى عن هذه الأبعاد:

١ - **الولاء**: القرب والقرابة والنصرة وهى كلمة تستخدم للدلالة على العواطف والصلات التى تربط الفرد بالجماعة كالأسرة أو العمل، الوطن أو الإخلاص لما يعتقد أنه صواب.

كما أن ولاء الفرد الأساسى فى المجتمع الأبوى يتجه إلى العائلة أو العشيرة أو المذهب أو الطائفة وبالنسبة إلى الفرد العادى فى هذا المجتمع فإن فكرة المجتمع أو الوطن مجرده لا تتخذ معنى إلا فى ارتباطها بالنماذج الأولية للقرابة والدين.

وأن كل ما يميز الولاء هو أن كل فرد يرتبط به يتوخى الربح ويتضح ذلك فى تقليد الوساطة حتى أن طلب المعروف والوسيط يحصلون على فائدة ما.

٢ - الانتماء:

الانتماء كما ذكرنا سلفًا: هو الانتساب الحقيقى للدين والوطن فكرًا وتجسيدًا وعملا: هو الرغبة فى تقمص عضوية ما لمحبة الفرد للوطن والاعتزاز بالانضمام إليه ويكون الانتماء للوطن بالتضحية من أجله والتى تنبع من حب الوطن وشعبه.

و السلوك والعمل الجاد الدؤوب من أجل الوطن والتفاعل مع أفراد المجتمع من أجل الصالح العام. فالانتماء من حيث العطاء والارتقاء فوق الصغائر والخدمة المخلصة للوطن والأمة بحيث كلما ارتفع العطاء تبعه زيادة فى الحب وحسن الأداء. ولذلك فإن العمل المخلص والتضحية المستمرة تصبح مقياسًا للانتماء.

٣- للانتماء الصادق الحقيقى «الاعتزاز بالأمة» وطنية، قومية:

الوطن عند أهل السياسة هو مكانك الذى تنسب إليه ويحفظ حقك، ويعلم حقك إليه، تؤمن فيه على نفسك وحقك ومالك.

- **و«الوطنية»**:عاطفة قديمة نشأت فى صدر الإنسان منذ صار له منزل يقيم فيه وطبيعى أن تكون الوطنية فى أول عهدها محلية فوطنية الإنسان أول عهدها محلية فوطن الإنسان البدائى غير الوطن المتحضر ووطن المتحضر فى الأزمنة السابقة غير وطنه فى الوقت الحاضر.

والوطنية ارتباط وانتساب الفرد أو الجماعة إلى قطعة من الأرض، والتعلق بها وحب أهلها وأصحابها والحنين إليها عند التغرب عنها والاستعداد للدفاع عنها وعن كيانها ضد الأخطار التى تهددها.

- **أما «القومية»: فهى** مبدأ روحى يعنى التضامن الحق الذى يخلق عاطفة التضحية والعاطفة التى وجدت فى الماضى وتوجد فى الحاضر ويمكن أن توجد فى المستقبل.

والقومية نثبت وجودها فى الحاضر كحقيقة ملموسة هى الرضا وهى رغبة مجموعة بشرية معينة ورغبة أكيدة فى العيش معًا.

وبالقومية يتماسك شعب معين يقيم على أرض معينة وبفضلها أيضًا يعمل على حماية ذاته ووطنه والقومية هى تلك القوى الاجتماعية والنفسية التى تنبع من التقارب والتضامن ووحدة الأمال لأمة ما وذلك من خلال الشعور بالانتماء المشترك ولاعتناقها قيما مشتركة ويعيش الإنسان فى دوائر اجتماعية وسياسية متداخلة ومتكاملة تبتدى بمجتمع الأسرة وتنتهى بالمجتمع الإنسانى مرورًا بالمجتمع المحلى والمجتمع القومى وولاء الإنسان بأى دائرة من هذه الدوائر لا تلغى ولائة اعتزازه بدائرة إجتماعية سياسية أخرى ويكون الوضع غير طبيعى إذا الغى ذلك.

الفرق بين حب الوطن والانتماء للوطن والولاء للوطن:

١- حب الوطن:

وهذا شعور لا سلطة لك عليه ويتحكم فيه القلب... أو بالأصح الجزء من العقل

الذى يتحكم فى القلب والمشاعر وكل الوظائف والانفعالات اللاإرادية... ولذلك ليس له تفسير مقنع... فقد تكون بلدك أفقر بلاد الله.. وليس لك فرصة لحياة كريمة فيها.. وقد يكون جوها حتى سيء.. قارص البرد فى الشتاء.. شديد الحرارة فى الصيف... ممطر طوال العام... ومع ذلك تحبها... وهو ليس له تفسير إلا كحب المرء لأمة بغض النظر عن شكلها أو أى شيء آخر... أو كالرجل يحب امرأة رغم أنها دميمة أو غير متعلمة أو حتى سليطة اللسان... ويقال أن «مرآة الحب عميه».

٢- الانتماء للوطن:

وهذا يتحكم فيه العقل وأسبابه... وهو يترجم إلى الشعور بالافتخار أنك منتمى لهذا الوطن... ولأن العقل يحكم هذا الانتماء... فلا بد أن يكون للافتخار بالانتماء للوطن أسبابه... كأن تكون بلدك دولة عظمى مثلا... أو أن تكون مميزة عن باقى الدول فى الصناعة أو الطبيعة الخلابة والنظافة.. أو أى شيء من هذا القبيل... أو أن شعبها معروف بصفات مرغوبة يحبها ويقدرها الناس.. كالاجتهاد فى العمل أو الذكاء أو دماثة الخلق... وكونك تحب وطنك لا يعنى بالتبعية أن لديك شعور بالانتماء إليه والافتخار بأنك من أبنائه... كالرجل يحب «راقصة» فيتزوجها ولكنه لا يفتخر بها بين معارفه... ونادرًا ما يكون العكس.. أى أن لا تحب وطنك.. ولكن لديك شعور بالانتماء إليه.

٣- الولاء للوطن:

وهذا يحكمه الضمير.. بوازع دينى... وهو يتمثل فى خدمتك لوطنك والعمل على نهضته.. وتمثيله تمثيلًا مشرفًا إن كنت تعيش خارجه، وعدم خيانته أو التجسس ضدة أو الإساءة إليه، وفى أقصى الحالات استعدادك للتضحية من أجله إذا تعرض للخطر... وهذا الولاء هو واجب عليك.. ولأنه واجب.. لا يقتضى أن تكون محبًا لوطنك ولا يتطلب أن يكون لديك شعور بالانتماء إليه... إنك فقط تفعله لأنه واجب... ومهما كانت الظروف.

وللأسف فقد نجح القائمون على حكم بعض البلاد أن يقضوا تقريبًا على شعور

الانتماء.. أما الولاء فلأنه واجب علينا يفرضه علينا ضميرنا بوازع من ديننا فهو باق.

والوطنى: هو من يؤدى واجبه ويكون ولاؤه لوطنه بغض النظر عن حبه له أو شعوره بالانتماء إليه.. أما الوطنجى: فهو من إكتفى بالحب وضحك على من حوله بانتماء كاذب لا يتعدى الكلام عن الوطنية، والحب وبعض الدموع.

أنماط الانتماء الوطنى:

١- الانتماء الحقيقى:

يكون فيه لدى الفرد وعى حقيقى لأبعاد الموقف والظروف المحيطة بوطنه داخليًا وخارجيًا ويكون مدركًا لمشكلات وقضايا وطنه وقادر على معرفة أسبابها الحقيقية وطبيعة هذه المشكلات والأسباب الكامنة خلفها وموقعه منها والاكتراث بآرائها ونتائجها ويكون المنتمى هنا مع الأغلبية والهمل من أجل الصالح العام وسلامة المجتمع ونموه وتطوره هو الهدف الذى يجب أن يسمو على الفردية والأنانية.

٢- الانتماء الزائف:

هو ذاك الانتماء المبنى على وعى زائف بفعل المؤسسات غير الرسمية التى تشوه الحقيقة والواقع فى عقول المواطنين وبالتالى قد تصبح رؤيتهم للأمور والمواقف غير صالحة وغير معبرة عن الواقع الفعلى ومن ثم يصبح الوعى والإدراك غير حقيقى وبالتالى ينبثق عنه انتماء زائف.

أيهما أسبق الانتماء الوطنى أم الانتماء الدينى:

فى الدول والأوطان التى تضم أكثر من دين وعرق ومذهب يكون هناك تنافس وصراع داخلى لدى الفرد أو الجماعة بين الانتماء الدينى والانتماء الوطنى وهناك أمثلة مختلفة لأوضاع متباينة ففى مصر توجد ديانتان هما الإسلام والمسيحية القبطية (المصرية) وقد استطاعت الثورة الوطنية التى تفجرت وقادها حزب الوفد المصرى عام ١٩١٩م أن تقدم الانتماء الوطنى على الانتماء الدينى وذلك بفضل الوعى التاريخى للقيادات الوطنية ممثلة فى رموزها سعد زغلول ومصطفى النحاس مع مكرم عبيد

وويصا واصف وأقرانهم، وتمثل ذلك فى رفع شعار الدين لله والوطن للجميع وقد اعترض الأصوليون على هذا الشعار لأن الانتماء الدينى من وجهة نظرهم يسبق الانتماء الوطنى.

مظاهر الانتماء الايجابية والسلبيه

توحد الفرد بوطنه واندماجه فيه والشعور بالاعتزاز والفخر ملتزمًا بقيمته ومعاييره وتقاليده ويكون على وعى بمشكلاته وقضاياها داخليا وخارجيًا ويسهم فى تحقيق إنجازات وطنه ويحقق أهدافه قدر ممكن ويكون على ثقة بمقدره وطنه فى تجاوز سلبياته وأن يسعى دائمًا للعمل فى إطار الجماعة بإخلاص وحب وأن دعته الضرورة للمفاضلة بين مصالحة ومصالح الجماعة فلتكن مصلحة الجماعة أولًا.

وبتحقيقها يحقق الفرد ذاته ويشعر بالرضا والفخر ويشعر بالثقة والاتزان الوجدانى والانفعالى. ومحققًا مكان ذات تقدير اجتماعى فالانتماء هو طريق الأمان وتقدير الذات وتحقيق التقدم الاجتماعى.. **ومن المظاهر الإيجابية للانتماء أيضًا ما يلى:**

١- حب الوطن والغيرة عليه والدفاع عنه.

٢- الولاء العام والخضوع للسلطات الوطنية والقوانين المنظمة.

٣- الإخلاص فى العمل والحفاظ على ثروات البلاد.

٤- محاربة الفساد والتخلف واللا مبالاة.

٥- التمسك بالقيم والمبادئ القومية والأخلاق الحميدة.

٦- الدعوى إلى الإصلاح والنهوض بالمجتمع عليها وثقافيا وحضاريًا.

ومن العوامل الايجابية التى تؤثر فى الانتماء ما يأتى:

١- العلم والثقافة والتمسك بالقيم والمبادئ والأخلاق.

٢- الحفاظ على التقاليد والأعراف والتراث الإنسانى المحلى والعالمى.

٣- التمسك بالدين لأنه يعصم من الزلل.

٤- القدوة الحسنة والمثل التى تحتذى من القادة فى كل المواقع.

٥- اقرار الحق والعدل والمساواة عن طريق نظام قانونى وسلطان وطنية مخلصة.

٦- سياسة إعلامية مستنيرة واقعية صريحة هادية ومرشدة للإصلاح.

٧- صحوة أسرية واجتماعية واقتصادية.

٨- النهوض بالمستوى الاجتماعى والاقتصادى والثقافى للمجتمع وإيجاد مجالات للعمل وحل مشكلات المجتمع باشتراك الجماهير فيها.

٩- توفير مناخ ديمقراطى سليم.

١٠-النهوض بقطاع الشباب وتوجيه طاقاتهم البناءة لخدمة البلاد عن طريق:

أ ـ التوجيه الروحى السليم الذى يكسب النفس الإيمان العميق والقيم والخلق والسلوك.

ب ـ توفير المناخ السياسى الملائم للمشاركة فى العمل الوطنى على أساس من الحرية والديموقراطية وفرص العمل السياسى للشباب.

جـ ـ توفير مصادر الثقافة العامة التى توفر الإطلاع ومسايرة التطور العالمى والتذوق الفنى لمختلف الفنون.

وقد حدد بعض العلماء أهم مظاهر الانتماء على النحو التالى:

١- المشاركة الوجدانية لأفراد الجماعة ـ الالتزام بقيم ومعايير الجماعة.

٢- المساعدة الفعلية لأفراد الجماعة.

٣- طموحات الفرد فى رفع مستوى الجماعة.

٤- توحد الفرد بفكر الجماعة التى ينتمى إليها.

٥- العمل على تماسك الجماعة ـ المعايرة للجماعة ـ الدفاع عن الجماعة.

٦- الشعور بالاغتراب فى حالة ابتعاد الفرد عن الوطن.

٧- العطاء المقدم من أجل بقاء المجتمع والوطن.

٨- التواصل عن طريق الحوار بين الفرد والجماعة.

٩- الحب والولاء والانتماء.

١٠-التماسك بموضوع الانتماء سواء كانت أسرة أو أصدقاء أو وطن.

١١-إحساس الفرد بالامان فى حالة انتماءه.

١٢-المعاناه والمثابرة من أجل مواجهة الصعوبات.

١٣-أحساس الفرد بتقبل الجماعة له.

١٤-الاعتزاز والفخر بالوطن.

١٥-الاخلاص والحب والاحترام والتقدير للوطن.

١٦-احترام الجماعة وإعلاء رأسها فى حالة التواجد خارجها.

مظاهر الانتماء السلبية:

يترتب على ضعف الانتماء سيادة القيم الفردية والأنانية والسلبية وعدم الالتزام بالقيم والقوانين نتيجة تضارب المعايير السائدة فى المجتمع وعدم استقراره اقتصاديًا وسياسيًا وتعرضه للازمات المختلفة فى نوعها وندها فتحول دون امتناع حاجات المواطنين الأساسية نتيجة لقلة الإنتاجية والسعى وراء الكسب السريع حتى وأن كان بطرق ملتوية. والوطنية معناها حب الوطن والولاء لذا فهى عاطفة ووجدان تجاه الوطن يكون فيها الحب هو الإحساس الأساسى لهذا الوطن فهى تشير إلى مشاعر الحب والولاء التى تكمن فى الانتماء للوطن حب البلد ـ الأرض ـ الشعب.

ومن مظاهر الانتماء السلبية ما يلى:

١- تدنى الإنتاج وانخفاض معدلات النمو الاقتصادى وقصور فى مجال الخدمات ويترتب على ذلك قصور فى الجهاز الإدارى فى مواجهة متطلبات الإنتاج.

٢- اضطرابات فى عدالة التوزيع وتكافؤ الفرص والعدل الاجتماعى.

٣- الانحراف والإهمال.

٤- انتشار الرشوة والواسطة والإنفاق والنسب.

٥- ظهور روح الأنانية والفردية والجشع والتسلط وتقديم المصلحة الخاصة على المصلحة العامة.

٦- الرغبة فى ترك الوطن والذهاب للخارج.

٧- التهرب من دفع الضرائب للدولة عن طريق التزوير.

٨- التطرف العقائدى والدينى.

ومن العوامل السلبية أيضًا التى تؤثر فى الانتماء ما يلى:

١- الجهل والمرض وسوء الأحوال والتخلف.

٢- إهدار القيم والمبادئ السليمة وشيوع الأخلاق الفاسدة.

٣- التحلل الاجتماعى والتفكك الأسرى.

٤- إهدار الطاقات وتدنى الإنتاج.

٥- غياب القدوة والمثل.

٦- غياب الهدف القومى والإحساس بالولاء.

٧- فقدان الحب ورابطة الجماعة والجرى وراء الإبهار والتقليد الأعمى.

٨- التطرف والخروج عما نادت به الأديان السماوية وإباحة المقدسات.

٩- الخروج على القوانين الشرعية.

أزمة الانتماء فى مصر

*** أزمة الانتماء الوطنى:**

لم تغب عن ذاكرتنا بعد قضايا التجسس والعمالة لإسرائيل وليس غريبًا أن يكون كل هؤلاء العملاء على مدار نحو ثلاثين عامًا هم عملاء لدولة واحدة فقط فلم نسمع عن جواسيس لدولة أخرى غير إسرائيل إلا نادرًا ولكن موضوعنا هنا ليس فى غرابة عدم تنوع العمالة وما يشير إليه ذلك من غرابة أشد من تطرف سلوك الانحراف نحو ألد أعدائنا لكن موضوعنا هنا أين الانتماء والإحساس الوطنى والإدراك التام. إن مثل هذا السلوك لم يقف تأثيره عند حد الآخرين بل سيتعدى إلى أبعد من حدود الآخرين. إن العميل يدرك يقينًا أن الأذى المؤكد الناتج عن خيانته لن يقتصر فقط على مواطنيه المصريين بل سيتعدى ذلك إلى أذى بالغ وخطير لذويه ولأولاده وأحفاده ومستقبل دولته بأثرها، ورغم ذلك يتغلب بريق المال والماديات بعمومها على انتمائه لوطنه وعلى حرصه على أهلة.

*** أزمة الانتماء الدينى:**

لا يمكن غض البصر عن البعد عن الدين رغم كون هذا الشعار يتساوى عندى مع شعار الإسلام هو الحل لأن كلاهما حق يراد به باطل ولكن البعد عن الدين هنا ليس هو التصور الهلامى غير محدد المعالم والأبعاد فغالبًا يقابل هذا الشعار شعارًا وهو عدم فهم الدين وإذا جمعناهما سنصل إلى طريق مسدود فكريًّا ومنطقيًّا أيضًا.

وعن مظاهر البعد عن الدين وجود أشخاص متدينة شكلًا لحية وحجاب ومسبحة لا تفارق أيديهم والصلاة فى أوقاتها بينما أخلاقيتهم بعيدة كل البعد عن ذلك فالسرقة والنفاق والتسلق والنصب والشهوانية. وعلى الجانب الآخر النقاب والحرص البالغ على عدم الاختلاط بينما تفوح منها العطور وتتفنن فى رسم العين تحت النقاب وتضحكن بأصوات عاليًا.

إن أزمة الانتماء التى نعانى منها ليست عابرة وليست وليدة بل هى مترسبة ومنحدرة بحيث يكون التراجع عنها ليس بالأمر السهل قد تكون أسباب تلك الأزمة متعددة ومتشعبه وما للمجتمع ذاته أو للسلطان يد وعلاقة فيها ولكن فى النهاية تؤثر فينا جميعًا وتبعث فى أنفسنا حزن عميق وحسرة على إنسانيتنا المهدرة بسبب تطلعاتنا التى قضت على قيمنا وحصرت كل قيمة فى ثمنها ليصبح المال هو القيمة الوحيدة فى المجتمع وضاعت أهم قيمة وهى قيمة الانتماء.

*** أزمة الانتماء الاجتماعى:**

وهذه الأزمة أيضًا كارثة أخرى وأدلتها كثيرة ومتعددة فأساس أى مجتمع هو الاستقرار والسلام الاجتماعى لأى مجتمع لا يكون مجتمع إلا بتعدد طوائفه. اليوم يتربص المسيحى بالمسلم والمسلم بالمسيحى ويعيش الطرفان فى حالة تحفز لتصيد أخطاء الأخر وظهر أيضًا الزواج العرفى وهو من أحد مظاهر الاحتضار الأخلاقى ووجود كثير من الشباب يتطلعون للزواج من الأجنبيات ويرغبون فى المصلحة والهجرة وبريق السفر إلى الخارج وهذه الفكرة تلح على الشباب وهؤلاء الشباب فقدوا انتمائهم لبلادهم وأهلهم وغيرها الكثير.

هناك أربع روافد ساعدت على تعميق الإحساس بالاغتراب لدى المواطن المصرى:

- **الرافد الأول:** غياب المشاركة السياسية وحرية التعبير عن الرأى وما يرتبط بها من عداء متحكم من قبل النظام العسكرى فى مصر فى كل بادرة من بوادر العمل التنظيمى المستقل للجماهير.
- **الرافد الثانى:** تفاقم الأزمة الاقتصادية فى مصر خاصة بعد حرب ١٩٧٣م بصورة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى واتساع دائرة الفئات الاجتماعية المعوزة وتساقط طموح الشباب حيث بدأ من المستحيل الاستمرار فى كل هذه الظروف القائمة.
- **الرافد الثالث:** تفجير أسعار النفط وتراكم الثروات لدى عرب النفط مما أحدث نمو غير متوقع فى النشاط الاقتصادى والعمرانى ذا الطراز الغربى فى أقطار الخليج والاستعانة بالعمالة المصرية مما أعاد زيادة مستويات الدخول من ناحية وزيادة مظاهر التضخم فى مصر ذاتها من ناحية أخرى.
- **الرافد الرابع:** الاختلال الاستراتيجى فى إدارة الصراع العربى الصهيونى فى أعقاب حرب ١٩٧٣م والذى أدى فى المحصلة النهائية إلى الهيمنة الإسرائيلية والأمريكية على المنطقة العربية، ودخول المنطقة العربية عصر ضعف حضارى شامل.

ومن مظاهر أزمة الانتماء فى مصر أيضًا ـ كما وردت فى أحد المراجع ما يلى:

أولًا: الاغتراب.

هو من الناحية الاجتماعية تتعدد مفاهيمه والتى منها انعدام السلطات والانفصال عن الذات والعداء وانعدام مغذى الحياة وانعدام المعايير الاجتماعية المطلوبة لضبط سلوك الأفراد ومن المعانى الشائعة للاغتراب أيضًا العزلة أى الانفصال عن المجتمع وثقافته حيث يعيش الأفراد فى عزلة عن المجتمع وحيث لا يشارك هؤلاء الأفراد بقية الناس فى المجتمع وفى البرامج والأنشطة كما أن هناك مفهوم آخر للاغتراب عن النفس

وهو ينطوى على شعور الفرد بانفصاله عن ذاته ومن المعروف أن الاغتراب كمشكلة اجتماعية تعانى منها مجتمعات كثيرة فى العالم المعاصر ويمكن مواجهتها لإتاحة الفرص أمام الشباب للتغلب عليها.

ثانيًا: ظهور أزمة الانتماء فى الريف:

تواجه القرية المصرية مأزقًا حادًا وقد تراكم هذا المأزق منذ سنوات بعيدة وازدادت حدة فى إعقاب إعلان سياسة الانفتاح الاقتصادى وبداية انخراط أعداد هائلة من سكان الريف المصرى فى الهجرة إلى الأقطار العربية للعمل بها.

لقد تعقد هذا المأزق إلى الدرجة التى انكسرت فيها العلاقة التاريخية بين الفلاح المصرى وأرضه الزراعية إذ أصبحت الفوارق فى الدخول بين المهن غير الزراعية والمهن الزراعية كبيرة لغير صالح الأخيرة الهجرة شبه الجماعية للمزارعين ليس للعمل فى الأقطار النفطية فحسب وإنما أيضًا فى هجرة العمل الزراعى برمته والتحول إلى أنشطة أخرى داخل وخارج القرية بعد العودة من بلاد النفط.

أسباب فقدان الاحساس بالانتماء:

- عدم وجود قدوة داخل الجماعة تعمل وتضحى من أجل مصلحة الجماعة.
- فقدان الإحساس بالأمن والاستقرار داخل الجماعة.
- تفكك الجماعة.
- عدم وجود عقوبة رادعة عند خروج أحد الأفراد على الجماعة.
- عدم القدرة على توظيف طاقات الجماعة.
- غياب أسلوب التربية الأخلاقية للأفراد.
- افتقاد وسائل الاتصال الفعالة.
- عدم أخذ آراء الشباب فى الاعتبار.
- دور الجمعيات والمؤسسات هامشى.
- انعدام الثقة بين الشباب والفئات الأخرى.

ومن المظاهر التى تظهر فيها مشكلة ضعف الانتماء أيضًا ما يلى:

- هجرة أعداد كبيرة من الشباب المصرى إلى إسرائيل والزواج من فتيات إسرائيليات والعمل بإسرائيل.
- التفكك الأسرى وانتشار ظاهرة الزواج العرفى بالجامعات المصرية.
- انتشار تعاطى وإدمان المخدرات بين فئات من الشباب والفتيات والأطفال.
- ظهور مجموعة من الشباب الشواذ يمارسون اللواط وقد تم القبض عليهم ومحاكمتهم.
- انتشار حوادث الاغتصاب للأطفال ذكورًا وإناثًا.
- التناقض بين القيم والمجتمع.
- اضطراب المصطلحات والمفاهيم لدى الشباب.
- افتقاد الهوية.
- الغزو الثقافى.
- الفراغ الفكرى والعاطفى.
- ضعف المستوى التعليمى للخريجين.
- عدم مواكبة معطيات العصر.
- محنة الاختيار بين التحديث والتأصيل.
- عدم الإحساس بالأمان.

المؤسسات الاجتماعية ذات التأثير فى تحقيق هذا الانتماء:

الأسرة: هى المؤسسة الاجتماعية الأولى والركيزة الأساسية التى يرتكز عليها المجتمع فى البناء وتشكيل أبنائه لما لها من دور هام وفريد فى التنشئة الاجتماعية والسياسية لأبنائها فالأسرة هى المصدر الأول الذى يكتسب منه الفرد خلالها قيم الضبط والإلتزام بما تمنحه من حب ورعاية ومكانه وأمن فيكتسب الفرد من خلالها قيم الضبط والإلتزام والتعاون والمسئولية وغيرها منذ سنوات التنشئة الأولى فتتقوى لديه مشاعر الولاء والانتماء وتجعله إنسانًا مقبولا ممن حوله يؤثر فيهم ويتأثر بهم ثم إن

obeikandl.com

مستوى التعليم المرتفع للأباء له دوره الفعال فى اكساب أبنائهم قيم الانتماء حيث التبصير والتوجيه وبلورة المفاهيم وغالبًا ما يتخذ الأبناء آباءهم قدوة ونموذجًا يحتذون بهم فى حياتهم كمصدر من مصادر الولاء.

جماعة الرفاق والأصدقاء: لها دورها الهام، فعن طريق الصداقة يتم اكتساب عدد من المهارات والقدرات والسمات الشخصية فصداقات الأطفال مثلا تسهم إسهامًا بارزًا فى الإرتقاء بالقيم الأخلاقية والأدوار الاجتماعية فتبصرهم بمعايير السلوك الاجتماعى الملائم فى مختلف المواقف يتعلم منها المراهقون كيفية المشاركة مع الآخرين فى الاهتمامات والإفصاح عن المشاعر والأفكار وتكوين علاقات تتسم بالثقة المتبادلة مع أقرانهم كما أن لجماعة الرفاق أثرها فى تعليم الكثير من الأنماط السلوكية خاصة فى المدن المصرية المعقدة.

وسائل الإعلام: تتمثل فى الإذاعة والتليفزيون وصحافة الأطفال ومجلاتهم وهذه كلها مصادر هامة للمعلومات والمعارف التى تسهم فى تشكيل الوعى لدى التلاميذ بصفة خاصة ولدى المواطنين بصفة عامة من خلال مدى تناولها للانتماء ومن الضرورى زيادة الوقت المخصص لمفاهيم الانتماء من خلال البرامج الإذاعية والتليفزيونية مع التركيز على القيم الإيجابية وتجنب القيم السلبية كالفردية والأنانية والتقليل من مساحة البرامج الترفيهية وبرامج التسلية والإعلانات بما يتناسب مع البرامج الأخرى الهادفة الثقافية والعلمية والاجتماعية التى تثير الوعى وتعزز المفاهيم تجاه القضايا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وأيضًا توضيح المفاهيم المرتبطة بالقضايا الوطنية والقومية والأحداث السياسية الحيوية والرموز الوطنية والقومية والانتماء والسلام الاجتماعى بما يعزز ربط الأطفال والناشئة والشباب ببيئتهم ووطنهم وذلك من خلال تقديم البرامج المناسبة لكل منهم والتى يعدها المتخصصون والتربويون وعلماء النفس والاجتماع والاقتصاد والسياسة والتاريخ والقانون. ومجلات الطفل هى الأخرى عليها الالتزام بعدم إغراق الطفل فى الأحداث الخيالية وعدم التركيز على قيم التنافس والفردية وإفلات المجرمين والخارجين عن القانون من العقاب والعدالة وعدم إبعاد الطفل عن قضايا بلاده وعن قيم الجماعة كالتعاون

والمسئولية تجاه الآخرين وعليها أيضًا إبراز الأحداث الوطنية ورموزها وقضايا الوطن مع مراعاة المرحلة العمرية أيضًا فى إثارة ما رسخ فى وجدان الشعب المصرى من حب الوطن وما يؤكد على أهميته تنمية الانتماء كمفهوم أساسى وراء الإنجاز والتنمية والتطور.

المدرسة: إن المدرسة كمؤسسة تعليمية تربوية تستطيع أن تسهم بفاعلية فى تحقيق الانتماء للوطن وتأكيد الهوية المصرية لدى تلاميذها من خلال المقررات الدراسية والمناخ المدرسى وأسلوب أداء المعلم وطرق التدريس والأنشطة المدرسية بما تنتهجه من قيم تعكس أنواع الممارسات السلوكية التى لها أثرها على التلاميذ ترابطًا وانتماء.

المقررات الدراسية: من المهم تعزيز المقررات الدراسية بما يؤكد الانتماء لدى التلاميذ خاصة مقررات القراءة والنصوص والقصة حيث يمكن للمعلم من خلالها أن يوضح معنى الانتماء كمفهوم وقيمة فى أذهان ووجدان التلاميذ كما يؤكد المعلم من خلال المواقف التعليمية على تقديم إشارات قد تسهم فى تأكيد الانتماء وبلورته ممارسة وسلوكًا.

المناخ المدرسى (البيئة المدرسية): إذا كان المناخ المدرسى إيجابيا يسمح بالتفاعل الاجتماعى من خلال تأكيد الثقة بين جيل الكبار والمسئولين بالمدرسة وبين التلاميذ فإن ذلك يساعد على نمو الشخصية وتنمو مشاعر الحب بين أطراف العملية التربوية وبالتالى تنمو مشاعر الفخر والاعتزاز بالمدرسة كمجتمع صغير ومن ثم المجتمع الكبير.

أسلوب أداء المعلم: للمعلم دوره الهام فى تأكيد الانتماء مفهومًا وقيمًا فى وجدان وأذهان التلاميذ وكذلك بلورته سلوكًا وممارسة من خلال المواقف التعليمية المختلفة فهو وراء الوعى المكتسب لدى التلاميذ فمن خلال الوعى تتحدد مشاعر ووجدان التلاميذ تجاه الوطن منفعلين به ومتفاعلين معه وبالتالى يتحدد السلوك كدلالة لكل ما كان بالوجدان والأذهان.

الانتماء.. والأسرة

هناك الكثير من الأشخاص يشعرون بعدم الانتماء إلى أسرهم يرون أنهم مجبرون على هذه العائلة ولو عاد الأمر إليهم لما اختاروا أن يكونوا فى أسرهم من الأساس. إن عدم الانتماء شعور صعب لأى شخص لأنه سيشعر بالغربة داخل أسرته فما الأسباب؟ وكيف نحقق شعور الألفة والانتماء تجاه أسرنا؟

مما لا شك فيه أن مرحلة الطفولة تُعَدُّ من أهم المراحل وأكثرها تأثيرًا فى حياة الفرد المستقبلية؛ إذ يتوقف عليها تحديد المعالم الرئيسية لشخصيته من خلال ما يكتسبه من خبرات وقيم واتجاهات.

ومن المتفق عليه بين المشتغلين بعلم النفس أن الأسرة تلعب دورًا بالغ الأهمية فى إعداد الفرد وتأهيله للقيام بأدواره ووظائفه داخل النسق الاجتماعى، حيث تمثِّل الأسرة أولى المؤسسات الاجتماعية التى تحتضن الطفل منذ اللحظات الأولى لخروجه إلى الحياة وخلال كافة مراحله العمرية التالية. ويرى علماء النفس أن الأسرة تقوم بمجموعة من الوظائف الأساسية، مثل الوظيفة النفسية كالحب والشعور والانتماء، والوظيفة الاقتصادية، ثم وظيفة التطبيع الاجتماعى، إلا أن وظيفة الأسرة التربوية، وخاصة فيما يتعلق بعمليات التطبيع الاجتماعى والتنشئة الاجتماعية، ومنح الشعور بالحب والانتماء لا تزال هى الوظيفة الأساسية التى لا يمكن لأى مؤسسة أخرى للقيام بها، خاصة بالنسبة للسنوات الأولى فى عمر الطفولة، والتى لا تتجاوز فيها دنيا الطفل حدود أسرته، والتى هى من وجهة نظر المتخصصين تُعَدُّ الفترة الخصبة الأساسية فى نقل قيم المجتمع إلى الطفل، وتأصيل العمليات الخاصة بالتطبيع الاجتماعى والتى تغرس فى الفرد الأدوار والاتجاهات والقيم والمهارات التى تشكل شخصيته. ومن أهم عمليات التطبيع الاجتماعى والتى تقوم بها الأسرة تأصيل الانتماء، والتى تعنى أن الفرد من طفولته المبكرة يحيا فى ظلِّ مجموعة من القيم والأفكار والمبادئ التى تترسَّب فى وجدانه، حتى تتحول لديه إلى وجود غير محسوس، ومن خلال ذلك يصبح الفرد منتميًا إلى المكان، وإلى الأسرة، وإلى الجماعة، وإلى المجتمع والوطن.

وتعتبر الحاجة للانتماء من الحاجات المهمة التى تُشعِر الفرد بأنه جزء من جماعة معينة، سواء كانت هذه الجماعة (الأسرة ـ الرفاق ـ جماعة مهنية)، وأنه جزء من وطن معين، ويُولَد هذا الشعور الاعتزاز والفخر بانتماء الفرد لهذه الجماعة، ويُعَدُّ إشباع حاجات طفل ما قبل المدرسة وتقبله لذاته وشعوره بالرضا والارتياح أولى مؤشرات انتمائه للجماعة.

فالحاجة للانتماء من أهم الحاجات التى يجب أن تحرص الأسرة على إشباعها لدى الطفل لما يترتب عليها من سلوكيات مرغوبة يجب أن يسلكها الطفل منذ صغره وحتى بقية مراحل عمره، أما فقدان الانتماء فيعتبر من أخطر ما يهدِّد حياة أى مجتمع، وينشر الأنانية والسلبية، وفى المقابل يؤدى الانتماء إلى التعاون مع الغير، والوفاء للوطن والولاء له. ويرتبط بالانتماء بعض القيم، مثل: العطاء، والتضحية، والتعاون مع الآخرين، وهذا يلقى على الأسرة مسئولية كبرى نحو التركيز على إظهار مواقف تاريخية تبيِّن بطولة قادة وزعماء فى الدفاع عنه. وفى تقدير هؤلاء الأطفال لأنفسهم، وبشكل عام فإن للعلاقات الأسرية أثرًا إيجابيًّا فى تكوين الشعور بالأمن وتطور مفهوم الذات الإيجابى عند الطفل. وحيث إن نسق الأسرة مثل سائر الأنساق الأخرى يكون رهنًا للظروف والمتغيرات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، فإنه بالتالى يكون عرضة للتأثر بعمليات التغير والأحداث التى تطرأ على المجتمع، مثل الحرب.

– وقد أشارت الكثير من الدراسات إلى أن الحرمان ومعايشة خبرات الحرب تترك آثارًا نفسية على الأطفال لا تزول بانتهاء الحرب، بل تظلُّ كامنة وتتراكم لتفرز كثيرًا ردود أفعال الأطفال غير السوية. حيث إن مفهوم الطفل عن ذاته يكتسبه فى مراحل النمو الأولى، حيث تلعب الانفعالات مع الأشخاص المهمين فى حياته خصوصًا والديه، دورًا كبيرًا فى ذلك ويتأثر مفهوم الذات إلى حدٍّ كبير بالعلاقات الأسرية القائمة بين الطفل ووالديه، فالفروق فى الأجواء الأسرية وطرق التنشئة تحدث فروقًا بين الأطفال فى مكونات الشخصية، وفى تقدير هؤلاء الأطفال لأنفسهم، وبشكل عام فإن للعلاقات الأسرية أثرًا إيجابيًّا فى تكوين الشعور بالأمن، وتطور مفهوم الذات الإيجابى عند الطفل.

إن شعورنا بالانتماء إلى أسرنا هو أن نعتبر أنفسنا غصنًا من شجرة كبيرة، نشعر

بأهلنا ومتاعبهم، نشاركهم أحزانهم وأفراحهم، لا نشعر كأننا غرباء وأن أسرنا مفروضة علينا فرضًا. كم من شخص فى كل أسرة يشعر بالنقمة والسخط من عائلته ومن وضعه ويتمنى لو أنه ولد عند أناس آخرين ضاربًا عرض الحائط كل التضحيات التى تقوم بها أسرته تجاه فما سبب شعوره هذا؟ وكيف يتحقق الانتماء داخل الأسرة؟

الانتماء الأسرى يبدأ من الطفولة. فهذا الشعور يتولد من إشباع حاجة الطفل إلى القبول داخل بيئته، فالمطلوب من الأسرة قبول الابن دون ربط هذا القبول بإنجازات معينة يقوم بها الطفل.. فلو تعلم الطفل أن يقبل إذا أحسن، ويرفض إذا أخطأ سينشأ مذبذبًا ضعيف الشخصية، ضعيف التقدير الذاتى.

إن قبول الطفل يعنى انتماءه لأسره يشكل أحد أعضائها.. مما يسهل على الطفل فيما بعد الانخراط فى مجموعات اجتماعية أخرى. وبالمقابل يكون الطفل الذى يشعر بعدم قبول الأسرة له، أقرب إلى الارتياح والرفض والشعور بالوحدة.

العمل المشترك والعمل الجماعى داخل الأسرة الواحدة يبنى الشعور بالتقارب الحميم لدى أفراد وأعضاء الأسرة، وهذا يعزز بالمقابل شعورهم بالانتماء، ومما يزيد هذا التماسك الأسرى والشعور بالانتماء لدى الأبناء كون الأسرة مجالًا وفضاءً للعديد من الأنشطة مثل:

- التخطيط المستمر لأنشطة جماعية داخل الأسرة بعيدًا عن روتين الحياة اليومية.
- قضاء فترات خارج البيت مثل النزهات الأسبوعية أو الأجازات السنوية من صلة رحم أو استجمام فى الملاهى والمنتزهات.
- المشاركة الجماعية فى الأنشطة الهادفة مثل النوادى وغيرها.
- ممارسة الرياضة والألعاب.
- القراءة المشتركة الهادفة.
- الجلوس ولو ٢٠ دقيقة يوميًا لمناقشة أحوال الأسرة وخططها المستقبلية ومشاكلها.
- التعاون بين أعضاء الأسرة فى أداء احتياجات البيت والواجبات المدرسية.
- تعليم الابن كيف يكون عضوًا فى مجموعة: القيادة، الأهداف المشتركة،

التخطيط الجماعى، المنافسة، الطموح، حب التميز، الرغبة فى الانتصار والتميز، المثابرة والصبر، التعاون مع الآخرين من أجل هدف مشترك، وهو العمل الجماعى.

وهكذا يتضح لنا أن انتماء الطفل للأسرة والمجتمع يتوقف على تأكيد الأسرة لهذا الاتجاه عند الطفل منذ الصغر.. ومن خلال ذلك يتعلم الطفل الانتماء لأسرته ولمجتمعة وللمؤسسات الاجتماعية الأخرى.

الانتماء.. والعقل

إننا عندما نفرد موضوعًا لدراسة العلاقة بين العقل والانتماء فإن هذا لا يعنى إننا نفصل العقل عن الوجدان.

ذلك أن العقل لا يستطيع أن ينفصل عن الوجدان وإن كان العكس ليس صحيح على طول الخط ذلك أن الوجدان يمكن أن يعتمد فى طيات الشخصية فى منأى عن العقل الواعى فيصدر المرء فى سلوكه الداخلى وفى سلوكه الخارجى عن عوامل لا شعورية بحتة لا صلة لها بالوعى ولا العقل المنطقى الموضوعى. والعقل هو وعى المرء بذاته ونشاط ذهنى موضوعى ونشاط ذهنى هادف وعبارة عن سلسلة متلاحقة من العمليات الذهنية. والعقل يعمل على تخصيب وتنمية بذور الانتماء لدينا ذلك أن هناك علاقة تفاعلية ديناميكية فيما بين العقل والعاطفة فما نستشعره عاطفة يقوى ويتدعم بالعقل. فالعقل هو المنشط لعواطفنا بل أنه بمثابة القوالب التى يمكن أن ينصب عواطفنا فيها فلا تضيع سدى وتتخذ لها أشكالا وملامح محددة متبلورة. والعقل هو الذى يسمح بالإفصاح عن عواطف الانتماء فى لغة عقلانية وإيصال تلك اللغة إلى الآخرين وبذلك يكون العقل واللغة بمثابة الأنبوب الذى تصل من خلاله عاطفة الانتماء من شخص لآخر ومن مجموعة من الناس إلى مجموعة أخرى متعددة.

الانتماء الروحى والعقلى:

هو ما قصده العلماء فى قولهم أن الإنسان اجتماعى بطبعة فالإنسان يستمد أسلوب تفكيره وأنماط سلوكه وحدود حريته والمحرمات والتقاليد من أبويه وأسرته ودائرته الاجتماعية ويلقى الفرد هذا التعليم سطرا ويتدرج فى العادات الجارية خطوة تلو

الأخرى، ويبدأ تشكيل المجتمع للفرد منذ أيام طفولته الأولى ولا يتضح مدى أهميتها له إلا فى الأزمات والأمراض والصدمات فوجوده بين جماعة ينتمى إليها يجعلها تصبح غذاءً روحيًا وعقليا ونبعًا خالدًا يبعث فيه طاقات الحياة والحب والراحة والاستقرار فبين الفرد وجماعته علاقة سلوكية وطيدة وتعايش حيوى مستديم فالانتماء إلى الجماعة والتمسك بها يبعد عن الفرد العديد من المشاكل والأزمات النفسية والانصياع للجماعة والاندماج بها مما يخفف من القلق والتوتر الداخلى.

الانتماء.. والوجدان

الوجدان هو المادة الخام التى تصنع منها العواطف، فالعاطفة هى تبلور الوجدان حول موضوع ما من الموضوعات أيا كان، سواء كان جمادًا أم نباتًا أم إنسانًا أم شيئًا مجردًا أم فكرة أم قيمة أم عقيدة.

وقد تكون العاطفة متعلقة بفرد ما من أفراد الناس كما قد تكون مرتبطة بمجموعة من الأفراد وقد تكون العاطفة متبلورة حول الموضوع إيجابيًا فتكون عاطفة حب، كما أنها قد تكون العاطفة متبلورة حول أحد الموضوعات بطريقة سلبية فتكون عاطفة كراهية.... والانتماء هو عاطفة متبلورة بشكل إيجابى حول موضوع ما من الموضوعات، حيث أن الانتماء ليس مجرد عاطفة حب متبلورة حول أحد الموضوعات، وإنما هناك مجموعة من الشروط التى يجب أن تتوافر فى ذلك التبلور حتى يتسنى لنا أن نسمى عاطفة الحب فى هذه الحالة انتماء.... **والشروط الواجب توافرها حتى نسمى عاطفة الحب انتماء هى كما يلى:**

أولًا: يجب أن يبدأ تبلور الوجدان حول الموضوع منذ طفولة المرء الباكرة، وأن يستمر دعم ذلك التبلور باستمرار خلال مراحل العمر التالية بغير توقف ذلك أن العواطف التى تترسخ فى الطفولة خليقة بأن تشكل قوامًا جوهريًا من قوامات الشخصية، فلكى يظل ذلك القوام مترسخًا وثابتًا ووطيدًا، فلا بد من استمرار تعزيزه ومساندته حتى لا يتعرض للضمور والذبول.

ثانيًا: يجب أن يكون الموضوع الذى يتبلور حوله الوجدان محفوفًا بالتقدير

والإجلال وليس بالحب فحسب، فالموضوع الذى ينتمى إليه إذا كان صاحب فضل فى استمرار وجودى أو فى كفالة رخائى وتقدمى.

ثالثًا: لا بد من أن يترسب الحب والإجلال فى الشعور بحيث يصدر فى السلوك وفى المشاعر تجاه الموضوع المنتمى إليه بطريقة لا شعورية حيث يكون الحب والإجلال والتقدير قد ترسخ فى القوام الداخلى اللاشعورى، ولا يكون الحب والإجلال والتقدير مجرد مشاعر سطحية تنبع من إحساس الفرد ووعية بالشىء فحسب.

رابعًا: لا بد من أن تكون هناك وسيلة للتعبير عما بداخل الفرد من حب وانتماء وإجلال وتقدير تجاه موضوعا ما والذى استشعر الانتماء نحوه.

الانتماء.. والحب

إن الانتماء المجرد يكشف عن وجود صفات تجعل الشىء المنتمى والمنتسب إليه جدير بذلك النسب لاعتبارات جليلة وخطيرة وتقوم فى نفس المنتمى، ومن شأن وجودها. أنها تجعل الإنسان فخور وسعيد بالانتساب إليه لما يولده ذلك الانتساب من قبله من معانى العزة والشرف وفى وجدانه من مشاعر الفخر والاعتزاز، وأن الحب أقوى مظاهر الانتماء وأهم عوامله أيضًا. وهذا الحب لا يتولد من فراغ ولكنه يجىء وليد مجموعة من الاعتبارات التى يحيها الإنسان ويعيش بها ويتشكل كيانه فى الحياة من خلالها، فهى تمثل بالنسبة له النعمة والخير فى أحلى ألوانه وأجمل معانيه. وعلى هذا النحو فالانتماء لا يخرج عن كونه إحساس تجاه أمر معين أو جهة محددة على الولاء لها والفخر بالانتساب إليها. فالحب والانتماء وجهان لعملة واحدة. ولذا قرنهما (ماسلو) معًا فى ظل كراهية نفور الأشياء التى تستأهل حب الإنسان هى ذات الخطر بالنسبة له ومبعث الخير فى حياته، وهى التى تعمره وتغرقه نعمه.. ومع ذلك فإن مشاعر الناس تجاه الأمور متباينة وولائهم مختلف ويرجع ذلك إلى اختلاف معايير الفكر عند بعض الناس وتفاوت الرؤية عند بعضهم الآخر فى النظر للأمور. والحب كشعور يختلف فى مظاهره السلوكية ومحتواه العقلى ولكنه يتضمن نوعية محددة وفريدة من التأثير والشعور بالارتباط والمودة لشخص ما، وأحيانًا لشىء ما وميل وولع قوى، وإن كانت بعض النظريات تشير إلى أن مشاعر الحب شهوانية فى جوهرها والحب بمثابة قيمة

جوهرية ويمثل القاسم الأعظم بين الانتماء وجميع القيم المرتبطة به بحيث يشير الحب إلى البعد الوجدانى للقيمة. ولقد أجمع كلا من قاموس علم الاجتماع وقاموس ويسبنر على أن الحب توحد عاطفى قوى يؤكد المودة والتفانى لطرف أخر (جماعة ـ وطن ـ فرد)، ويشير إلى ميل وولع وشدة اهتمام وهو عملية سيكولوجية اجتماعية دينامية متعددة الأبعاد. واتفق معهما فى نفس المعنى موسوعة اكسفورد وبعض قواميس اللغة بأنه شعور قوة فى عاطفته تجاه شخص ما أو شىء ما تشعر معه بضرورة حمايته ومساعدته والتضحية من أجله. ويرى «اريك فروم» أن الحب ليس قوى تهبط على الإنسان كما أنه ليس واجبًا مفروضًا عليه وأن قوته التى تربطه بالعالم وتجعله عالمه حقًا. إن الحب حالة إيجابية ونشاط وهو العطاء وليس التلقى، وهو الوقوف وليس الوقوع وهو موقف من أهم دلالاته (العناية ـ المسئولية ـ الاحترام ـ المعرفة) وفى هذا الحب المنتج المستمر فهو الانفصال وهو مصدر الحرية الحقيقية والإبقاء على الذات فى الوقت نفسه وأنه يفضى إلى الوحدة والاتحاد مع هذا يستأصل الفردية.

واتفق اريكسون مع فروم على اعتبار الحب مفهوم واسع يتجاوز الحدود الضيقة التى قال بها فرويد وأنصاره من أنه مجرد لذة شهوانية. حيث اتفقا على أن الحب فضيلة تتضمن معانى الاهتمام والرعاية والاحترام والمسئولية ومن خلال تلك المعانى يحقق الحب أعظم إنجازاته. ولكى يؤتى الحب ثماره يجب أن يدرك المرء هويته لأن تشوه الهوية وتمزقها لا ينتج إلا الخوف والانسحاب بعيدًا عن العلاقات الودية الحميمة مما يعوق الحياة ويحول دون النضج الكافى ويرى «هيجل» إننا منفصلون عن الحياة المباشرة ومغتربون والحب هو الوسيلة لعبور هذا الانفصال وذاك الاغتراب فالحب يقهر الانفصال والحاجة إلى الوحدة شىء أصيل فى الإنسان.

وأن الحب ليس مجرد شعور داخلى، بل هو تجاوز للإنسان فى الواقع ونماذج فى العالم الواقعى وتجسيد موضوعى. فالحب يعمل دائمًا على الإحساس بالأمان وعدم الاغتراب لأن الغربة تفرض الوحدة، وتتجلى أعظم قوى الحب فى تغلبه على أعظم انفصال ألا وهو إنفصال النفس عن ذاتها. وكل نظام طبيعى كان أو اجتماعى هو قوة لأنه يقوم على الشكل القائم بالتوحد وهو كنظام يزيل الانفصال. ولذا فأن التأكيد على

التآلف والتوحد على المستوى الإنسانى يطلق عليه روح الجماعة التى تجد التعبير عنها فى كافة المجالات وتقوم عليه فى قوانينها ومؤسساتها ورموزه وأساطيرها وفى أشكالها الثقافية والأخلاقية. وكل عضو فى الجماعة يجد فى أعضاء المجموعة الحاكمة للجماعة تجسيد لتلك المثل التى تؤكد حينما تؤكد الجماعة التى ينتمى إليها.

والحب كما يراه فروم هو اتجاه نحو شخص أخر أو شىء أخر خارج المرء مع احتفاظه بذاته وهو الشعور بالقاسمة والاشتراك ويسمح بانفساح المجال الواسع لما للإنسان من نشاط داخلى، لأن المشاركة الإيجابية والمحبة تسمح لك بتجاوز وجودك الفردى وفى الوقت نفسه تمتلك القوى الإيجابية التى تمتلك المحبة. ولا يهم فى الحب أن يكون فى قلبك إحساس بالحب فقد يكون الحب أن يصبح الفرد واحد من الكل، وهو برغم ذلك مستقل بذاته ففى الإحساس بالحب نجد الحل الوحيد للمشكلة الإنسانية.

وتوجد علاقة بين حب الذات والآخرين. فالذاتية تجعل المرء دائمًا يحافظ على وجوده وهناك فرق بين التفرد والفردية أى بين الذاتية والأنانية (بمعنى حب الذات).

ويرى «شوبنهور» أن مع الفردية والأنانية يلاحظ أن كل فرد يريد كل شىء لنفسه، ويريد أن يجعلها مركز العالم وينظر إلى كل ما يجرى فى العالم على أنه أحداث ووقائع من زاويته الخاصة ويواجه المسألة الذاتية باهتمام بالغ، ويلغى شتى مصالح الآخرين بشىء كعدم الاكتراث، كذلك يؤكد الفيلسوف الاخلاقى «جانكوش» أن حب الذات بدايته هى نهايته ومستقبله هو ماضية ولا ينطوى على أى وجهه نظر لا اتجاه له ولا أفق وأما الحب الحقيقى فأنه نحو الآخرين وكل الآمال ميسره له وسماء العالم الخارجى مفتوحة له فى حين يشير التفرد إلى التميز وما تتميز به كل شخصية إنسانية من قدرات ومهارات تنفرد بها عن غيرها من الأفراد وهكذا فالحب هو دلالة التماسك والتوحد وأهم مظاهر الانتماء وعوامل قوته وهو القاسم المشترك فى كل الحاجات الإنسانية وخاصة الحاجة للانتماء فهو جوهر الانتماء ومعناه ويفضى إلى الوحدة والعلاقات الودية الحميمة ويقهر الانفصالية نحو الآخرين متوحد معهم منتمى إليهم ويشعر بالولاء نحوهم عاملًا على وحدتهم وقوة تماسكهم.

الانتماء والإحساس بالتوازن النفسى

عرف عن الإنسان سعيه الدائب عبر مسيرة الحياة عن الراحة النفسية أولًا والأمان وضمان العيش المصحوب بالتقدير الذاتى بين أقرانه فى المجتمع الذى يعيش فيه ثانيًا وهذا يعطيه الإحساس بأنه إنسان ينتج ويمنح بعطائه وجود للآخرين لأنه يجد الانعكاس بالرضا النفسى الذاتى وهذا يجعله يتقارب من الآخرين فى المجتمع ويتفاعل معهم ويؤثر فيهم ويتأثر بهم، أنها جدلية الوجود الصراع من أجل تحقيق الذات والتفاعل من أجل خفض حدة هذا الصراع بإضفاء الرضا النفسى.

فالانتماء إلى مجتمع أو عمل أو جماعة يصاحب هذا الانتماء الإحساس بالامتلاء النفسى والإشباع، فالفرد يبحث فى تصرفاته فى المجتمع عن ما تمليه الأعراف أو التقاليد أو اللوائح المعمول بها والقوانين التى تضمن حقوقه فى الإنتماء بكل أنواعه ابتداءًا من الانتماء للوطن أو للجماعة أو للدين أو للفكر أو للمذهب شريطة أن تحترم كل الانتماءات فى هذا المجتمع أو ذاك لذا يقول «ريتشارد نيسبت» مؤلف كتاب جغرافية الفكر يؤمن غالبية الغربيين بأن التعميمات تصدق على كل فرد، وهذه التعميمات هى:

- أن كل فرد يتصف بمجموعة من الصفات المتمايزة والمميزة له وأكثر من هذا يريد الناس أن يكونوا متمايزين عن الآخرين بنواح عديدة.
- فهم يتحكمون إلى حد كبير بسلوكهم ويشعرون بأنهم فى حال أفضل حين يكونون فى مواقف من شأنها أن تجعل الاختيار والتفضيل الشخصى هما العامل للنتائج.
- لذا يتجه الناس صوب أهدافهم الشخصية التى تمثل نجاحًا وانجازًا.
- فهم يجاهدون بغية الإحساس بالرضا عن أنفسهم وتمثل النجاحات الشخصية والضمانات التى تؤكد هذه الخاصيات الإيجابية عنصرًا مهما لتوليد هذا الإحساس بالرضا والرفاهية.

أن الناس فى مثل هذه المجتمعات يؤمنون بضرورة أن تنطبق القواعد والقوانين نفسها على الجميع ـ ينبغى عدم استثناء أحد ليلقى معاملة خاصة بسبب صفات شخصية أو روابط وعلاقات خاصة تربطه بأشخاص مهمين ذوى حيثية، أن الناس

يؤمنون بأن العدالة عمياء ولا تميز بين شخص وآخر بينما يلاحظ أن السمات النفسية الاجتماعية المميزة لغالبية المجتمعات الأخرى فى العالم خاصة مجتمعاتنا العربية والإسلامية ومجتمعات شرق أسيا أميل إلى الاختلاف عن ذلك بدرجات كبيرة أو وجود هوة شاسعة، فالفرد العربى حينما يؤمن بالانتماء إلى الوطن أو إلى المجتمع وقيمه لا يجد المساواة فى المعاملة ولا فى التقدير ولا فى العدالة حتى وإن نطق بها بأنها عدالة القضاء أو حكم الخالق، يتم تحريفها أو تزييفها أو تحويرها بشكل مؤدب أو ذو طبيعة تحايل شرعى دينى أو قانونى.

أن الانتماء للوطن فى معظم دول العالم الثالث والعالم العربى والإسلامى يهتز بفعل التنازل عن رغبات الفرد وحقوقه للجماعة أو للطائفة أو للمذهب أو للدولة إما بالقوة أو بالتهديد أو بالتى هى أحسن.. «وكلت أمرى لصاحب الأمر» كثيرًا ما تقال هذه العبارة أو «أن الله يمهل ولا يهمل» لذا بات لدى الجميع فى مثل هذه المجتمعات والدول أن المساواة فى المعاملة ليست مفترضة ولا ينظر الناس إليها كشىء صحيح بالضرورة كما أن التوازن النفسى للطفل وارتفاع روحه المعنوية.

يستندان إلى درجة انتماءه وتماسكه مع أسرته وعلى طبيعة علاقته مع والديه والبعد عن البيت والأم فى السنين الأولى من حياته يبعث نوعًا من القلق يسمى (قلق الفراق) كما أن البعد الطويل والقطعية بين الطفل ووالديه يولدان فيه ميولًا عدائيًا واكتئابية ونزاعات إجرامية وهذا ما حدث لمجموعة من أطفال الحرب العالمية الثانية الذين اضطروا إلى البعد عن ذويهم بسبب الغارات الجوية أو لموت أحد الوالدين أو كليهما.

فتحطم العلاقة الانتمائية الأولى بالأسرة زرعت فى هؤلاء الأطفال استعداد الاكتئاب أو (السايكوباتية) أو الإقبال على تناول المخدرات. فإن التماسك مع الجماعة واحترامها يقلل من الصدمات والأزمات حتى نسبة الانتحار ترتفع بين المغتربين اللامنتمين الذين ضعفت صلاتهم بجماعتهم.

الانتماء.. والجدل والحوار

الجدل غير شائع وغير مقبول فى معظم الدول العربية والإسلامية ودول العالم الثالث وهى سمة تميز الكثير من هذه المجتمعات أو أغلبها، بينما جميع الغربيين يبدأون

فى التعبير عن آرائهم وتبريرها وهذا سلوك يتم تعليمه منذ فترة مبكرة من حياتهم ابتداءًا من رياض الأطفال والتربية والأسرية (داخل الأسرة) إلى التربية فى المدرسة ثم التنشئة الاجتماعية فى أول مواجهة للطفل مع أقرانه، فهو يقول ما يريد دون أن يجرح أحد أو يسىء لأحد حتى وأن كان ما يتناوله يتعرض للمقدسات أو للدين، ويتعلم الطفل أولًا أنه لا يسيىء لأحد فى معتقده أو يتعرض له بالعنف، لذا يتعلم أولى دلالات الجدل والمناقشة وقبول الرأى والرأى الآخر، فتراث الجدل والحوار يترسخ فى سلوك الناس منذ الصغر والتكوين الفكرى لدى الغربى وهذا انعكس فى إبداء الرأى بالتصويت والانتخاب دون تأثير هذه المرجعية أو تلك الحركة السياسية أو قوة تأثير هذا الدين أو الاتجاه السياسى.

إذن الإحساس بالمواطنة يرتبط بقوة الجدل والحوار والتعبير عن الرأى بدون فرض أو إجبار، حتى سنت القوانين وشرعت اللوائح لحماية المواطن فى ضمان حرية إبداء الرأى من خلال الحوار وهذا ما لا نجده فى المجتمعات الشرقية والغربية والإسلامية وهم عادة يتجنبون الجدل والخلاف بالرأى لأنه بالأخير يخلق الضغائن وربما يؤدى على التصفيات الجسدية والأدلة كثيرة بدون حصر أو عد، سواءًا بين السياسيين فى السلطة أو فى الأحزاب أو المرجعيات الدينية بأنواعها أو المرجعيات المذهبية حتى أدت إلى تكفير التفكير وتفكير التكفير لدى من يعارض هذا أو ذاك على إنها أزمة أخلاق فى الفكر والممارسة والتنفيذ، ولنا فى تاريخنا أعظم الأدلة، فكم من خليفة للمسلمين كان يصلى فى أحدى زوايا المسجد وقتله أحد المسلمين من ملته بعد أن رباه وآواه وأطعمه. وكم من خليفة أقام فى الأرض العدل المساواه ونام بجوار شجرة مطمئنًا وفجأة يطعن بسكين من أحد أتباع الدولة الإسلامية أو مؤمن صالح مات مسمومًا فى عقر دار الخليفة بتحريض من أمير المؤمنين، إنها فكرة القضاء عمن يحاول أن يفكر فى أخطاء أمير المؤمنين، إنها مجتمعات أمة تعلمت أن تلعن عظماءها وتطاردهم طيلة حياتهم وتمجدهم بعد مماتهم وهذا كله يرجع إلى الفشل فى قبول فكرة الحوار واستبدالها بفكرة الشجار والتصفية الجسدية والغدر والخيانة والوشاية لدى السلطان أو أمير المؤمنين أو السيد الرئيس وأتباعه وأعوانه من الأجهزة الديمقراطية الحديثة. والنتيجة يكون الانتماء مشوها وهشا. لذا كان الفارق مذهلا أكثر من سواه بين قوتين يحتلان طرفى

العالم المتحضر هو قدرة المنطق ومصيره، إذ ظل المنطق عند الغرب محوريًا ولم ينقطع أبدًا الخيط الممتد لرسالته كما يقول الفيلسوف انجوس جراهام بينما قطع منذ بداية الدعوة الفكرية فى الإسلام ودول العالم الثالث فى العصر الحديث واستبدل بلغة العار والتكفير وهو بذلك توقف اتجاه التطور نحو المزيد من التحرر الفكرى توقف الإنتاج والإبداع الفكرى فضعفت الحاجة إلى الانتماء وهى الحاجة التى يشعر بها المرء بأنه محبوب ومقبول ومرغوب وهو يشعر بذلك بالتقدير الذاتى ويشعر أن الآخرين يقدرونه ويعطونه قيمة واهتمامًا. وحينما يتحرر الإنسان من كل الاحتياجات الأساسية يسعى إلى ما يمكن أن نسميه تحقيق الذات وهى كما يقول «أحد العلماء» أعلى مراحل التطور فى الإنسان ابتداءًا من المعرفة وتذوق الفن فى نفسه وفى العالم المحيط به، وهذا ما نراه فى الضفة الشرقية من الكرة الأرضية، فضعف الإشباع البيولوجى وتدهور الأمان وتقهقر الحب وضياع الانتماء.

الانتماء.. والقدوة

تمثل قضية القدوة واحدة من اخطر المشاكل وأكثرها تعقيدًا وأبعدها أثرًا فى حياة الشباب والمجتمع معا. وذلك لأن الكثير من الأمور سواء فى فكر الشباب أو سلوكه يرجع إلى افتقادهم للقدوة الحسنة فى العديد من المواقع... فيما يلى:

١- فى الأسرة. ٢- فى المدرسة.

٣- فى دور العبادة. ٤- فى العمل فى المصنع فى الحقل.

٥- فى الجيش. ٦- فى النادى.

والنتيجة الطبيعية لدى الشباب الذى يفتقد القدوة الحسنة هى الآتى:

أولًا: فقدان الثقة بالآخرين.

ثانيًا: فقدان الثقة بنفسه وقدرته على تحقيق آماله وإثبات ذاته فيسعى إلى الهروب وعدم الانتماء.. وذلك من خلال:

أ ـ إما بالفرار والهجرة.

ب ـ أو بالجموح والانحراف السلوكى تأثرًا بالنماذج السيئة التى يراها تطفو على السطح وتنمو.

جـ ـ أو بالانطواء وعدم المبالاة وانعدام المشاركة الإيجابية فى العمل الوطنى.

لذلك فمن الواجب الاهتمام بقضية القدوة الحسنة ومكوناتها للشباب ورؤية الشاب لها.. **ويؤكد العلماء أن للقدوة دور كبير وهام ومؤثر فى المؤسسات الآتية:**

أولًا: فى الأسرة: حيث يمثل دور الأب والأم القدوة للأبناء وقد تكون هذه القدوة صالحة فيشب الأبناء وينشئوا نشأة صالحة قويمة وقد تكون تلك القدوة سيئة فينحرف الأبناء وتنهار الأسرة التى تشكل اللبنة الأولى فى نسيج المجتمع وكل هذا يؤثر فى النهاية على المجتمع ككل ويؤدى إلى انهياره وتخلفه.

ثانيًا: فى مجال التعليم والثقافة: فالمعلم والأستاذ الجامعى والمحاضر والواعظ كل هؤلاء وغيرهم من رجال الصحافة والإعلام والفنانين لهم تأثيرهم البارز على الشباب الذى يعتبر هؤلاء بمثابة قدوة له.

ثالثًا: القدوة السياسية والقيادية والأجهزة التنفيذية والإنتاجية:

يشكل كل هؤلاء القادة مثلا أعلى للشباب لذلك لو كانت القيادة السياسية على مستوى المسئولية وواعية وفاهمة لدورها ومؤمنه بمصير أمتها يدفع الشباب إلى العمل وزيادة الإنتاج تشبها بقيادته الصالحة وفى كافة الأجهزة التنفيذية والإنتاجية تلعب القدوة دورًا كبيرًا فى تعزيز انتماء الأفراد وزيادة إنتاجيتهم وحثهم على العمل والمثابرة والتعاون والإخاء ونبذ الكراهية والأنانية والنرجسية و«الأنا» التى تقضى على ترابط المجتمع وتكامله على العكس من ذلك لو كانت هذه القيادات سيئة وغير مخلصة فى عملها وتجنح إلى التواكل والاستهتار وعدم التمسك بالقيم التى تحرص عليها الجماعة فإن ذلك يدفع الشباب إلى التواكل والاستهتار وعدم الإنتاجية تشبها بتلك القدوة غير الصالحة لأن القدوة الحسنة تدفع الآخرين إلى العمل والترابط والشعور بالمسئولية وبالتالى تعمق لديهم الشعور بالانتماء إلى جماعتهم ومجتمعهم مما يؤدى فى النهاية لتقدم المجتمع وإزدهاره.

رابعًا: القدوة فى مجال القوات المسلحة والقيادة العسكرية فى التنفيذ:

ولهذه القدوة أثرها البالغ فى تأكيد انتماء الجندى وتعزيز ولائه لوطنه وبلده

وعروبته.... كما أن للقدوة فى مجال القوات المسلحة أثرها البالغ فى غرس قيم الطاعة والنظام واحترام الصغير والكبير ومساعدة الكبير للصغير وكلها مبادئ وقيم تخلق رجالًا شجعانًا بواسل تربط بينهم الأخوة والتضامن وحب الوطن والبذل والعطاء وبالتالى التضحية فى سبيل هذا الوطن بكل ما هو غالى ونفيس وليس أغلى من دم الجندى وروحه التى يقدمها فداء لوطنه فالقيادة الناجحة والقدوة الحسنة فى القوات المسلحة تصنع رجالًا أبطالًا شجعانًا يشعرون بالانتماء إلى فرقتهم وأمتهم وأهداف وطنهم فى الحافظ على سلامته والذود عنه بكل ما هو غال بعزم شدائد المحن والمعارك ويخوض أشرس الحروب فداء لوطنه وأمته.

الانتماء الاجتماعى

الشعور بالانتماء للمجتمع من أهم دعائم المجتمع، والتى تحافظ على استقراره ونموه وهو يشير إلى مدى شعور أفراد المجتمع بالانتماء إلى مجتمعهم ويمكن أن نستدل على ذلك من خلال (المشاركة الإيجابية فى أنشطة المجتمع، الدفاع عن مصالح المجتمع، الشعور بالفخر والاعتزاز بالانتماء للمجتمع، المحافظة على ممتلكات المجتمع، وكل هذه المؤشرات يمكن أن تقاس ويستدل عليها بالمجتمع. فأساس الانتماء هو مشاركة سكان المجتمع وحدث الآخرين على التعاون معهم لمواجهة المشكلات ووضع البرامج المناسبة لمواجهتها.

ويعد مفهوم الانتماء الاجتماعى واحدًا من أهم المفاهيم المركزية التى تحدد طبيعة علاقة الفرد بالجماعة فى كل زمان ومكان يقابله على الضد تمامًا مفهوم الاغتراب الذى يعنى الابتعاد النفسى للفرد عن ذاته وعن جماعته. وسواء ابتعد الفرد عن جماعته أو غادرها إلى جماعة أخرى، فهو فى كلتا الحالتين إنما يفقد انتماءه لجماعته من جانب ويواجه برفض الجماعة الأخرى له من جانب آخر لاختلاف عاداته وقيمه ونمط شخصيته وخبراته مما يسبب غربته من ناحية وعدم انتمائه لمجتمعه من ناحية أخرى، وهناك حقيقة أن البشر كائنات اجتماعية، مخلوقات تتجمع سويًا ويعتمد كل منها على الآخر جسميًا أو نفسيًا عبر الحياة. فالعلاقات الوثيقة مع الآخرين تبدو من

الضروريات وهى أمور تتكامل مع بقاء الإنسان ورفاهيته فالبشر قادرون على تقديم كل منهم للآخر أعظم مسرات الحياة وأفراحها وكذلك أحزانها العميقة كما يمكنهم إعطاء نوع من التعاطف والتأكيد والحماية من الأخطار وبالتالى فأن حاجة الفرد للآخرين تكمن فى مساعدته على حل مشاكله وإرضاء حاجاته التى لا يستطيع حلها وإرضاءها بمجهوده الخاص فيشعره بالأمن ويزيدو من احترامه لنفسه.

وتبرز أهمية الانتماء على المستوى الاجتماعى؛ فهو العمود الفقرى للجماعة وبدونه تفقد الجماعة تماسكها وتماسك الجماعة هو انجذاب الأعضاء لها والذى يتوقف على مدى تحقيق الجماعة لحاجات أفرادها فطالما أن الجماعة تحقق حاجات الفرد فيمكنها أن تؤثر على افكاره وسلوكه عن طريق تلك الفوائد التى يحصل عليها من وراء انتمائه لها والمتمثلة فيما يلى:

- تحقيق الرغبات الشخصية والاجتماعية التى يعجز الفرد عادة عن تحقيقها بمفرده.
- الشعور بالانتماء إلى جماعة تتقبله فيشعر بالأمن والطمأنينة.
- يمكن تغيير سلوك الفرد عن طريق الجماعة، فكل جماعة لها معاييرها وقيمها التى يتحتم على الفرد المنتمى إليها اكتسابها.
- يتمكن الفرد عن طريق انتمائه للجماعة من اكتساب الميراث الثقافى الذى يمكنه من التفاعل إيجابيًا من أفراد مجتمعه.
- تساعد الجماعة الفرد على ممارسة أنواع من النشاط يستغل فيه قدراته ويكتشف قدرات أخرى.

دوافع الانتماء الاجتماعى:

هناك تعريفات متعددة للدوافع أجمعت على ثلاثة خصائص أساسية لها هى:

١- إن الدافع ينشأ من خلال حالة الاستثارة العامة أو عدم التوازن الذى يشعر به الفرد بحكم ما لديه من حاجة تلح فى اتجاه الأشباع فهذا الشعور بالحرمان من شىء ما أو نقص شىء آخر يجعل الفرد فى حالة توتر عام واستعداد لإصدار

السلوك، ويصاحب ذلك درجة من الاستثارة فى الجهاز العصبى المستقل تحقق فى مستوياتها المتوسطة أفضل أداء.

٢- بعد وصول الكائن الحى إلى هذه الحالة من تعبئة الطاقة يبدأ فى تنظيم جهوده وتوجيه نشاطه وسلوكه إلى الباعث، أى هدفه المحدد الذى يشبع حاجاته ويخفض توتره المرتبط بالدافع، وتتأثر طرق الأفراد فى التعبير عن الحاجات وإشباعها بالمحددات الاجتماعية والثقافية العامة كما تتأثر بالخبرات الخاصة بالأفراد وتوقعاتهم عن نتائج السلوك.

٣- تستمر الطاقة معبأة لتحقيق الهدف حتى يصل الكائن الحى إليه فتشبع حاجاته بصورة ملائمة وتهدأ حالة التوتر والاستثارة المرتبطة للدافع المثار. أما إذا عجز الكائن الحى عن تحقيق أهدافه سواء نتيجة عدم إشباع حاجاته على الإطلاق أو عدم اشباعها بطريقة مناسبة فإنه يصاب بالإحباط، وقد يتوقف عن السعى لإشباع دوافعه وتحقيق أهدافه فيما أسماه ديسى وراين بحالة التبلد الناتجة عن الشعور بالفشل والعجز عن التحكم فى الأحداث وعدم الاتساق بين السلوك والنتائج المترتبة عليه.

ولأن الدوافع تغطى كل أشكال السلوك الإنسانى فهناك طرق متعددة لتصنيفها أكثرها شيوعًا تلك التى تميز بين الدوافع البيولوجية أو الفسيولوجية كدوافع الجوع والعطش والدوافع النفسية الاجتماعية كدوافع التمكن والإنجاز والانتماء.

وقد حظيت هذه الفئة الثانية من الدوافع باهتمام الباحثين منذ فترات مبكرة من القرن الحالى نظرًا لدورها الحاسم فى مختلف أشكال التفاعل الاجتماعى والعلاقات بين الأشخاص بما فى ذلك العلاقات الوثيقة كعلاقات الصداقة والعلاقات الزوجية والعلاقات الأثرية أو علاقات الزمالة سواء فى العمل أو الدراسة أو غيرها.

والانتماء الاجتماعى: معناه إحساس الفرد أو المواطن أنه جزء لا يتجزأ من هذه الأسرة وهو جزء من نسيج المجتمع ذلك الوطن لا يحس فيه بالغربة أو الاغتراب.

والانتماء إحساس وإدراك نفسى اجتماعى يترجم فى شكل من أشكال السلوك الاجتماعى ودرجاته ويمكن قياسه من خلال المواقف والأفعال وردود الأفعال.

ويعتبر الانتماء من العوامل الهامة التى تساعد على تماسك الجماعات والأفراد وتنظيماتها المختلفة، ويربط هنا العالم «لويس كامل مليكة» بين الانتماء والتماسك، والتماسك يعنى القوى التى تعمل للتأثير على أعضاء كل جماعة ليستمروا بداخلها وإذا تناولنا مفهوم الانتماء من وجهة نظر الخدمة الاجتماعية فسوف نجد أن هناك تأكيدًا على دور الخدمة الاجتماعيه فى تنمية الشعور بالانتماء.

ومن ناحية علم النفس فقد فسر علماء النفس مفهوم الانتماء كحاجة من الحاجات النفسية وقد توصل أحد العلماء إلى أن الانتماء حاجة ترتبط بالعمليات الفسيولوجية الكامنة فى المخ وتستثار داخليًا أو خارجيًا فتؤدى على نشاط من جانب الكائن ويستمر النشاط حتى يتغير الموقف ويرى علماء آخرون أن الانتماء حاجة من الحاجات الظاهرة فهى تعبير عن نفسها فى السلوك حركى كما أنها تعمل فى إطار الجماعة ولا تعمل منفردة هذا وقد انحصرت النظرة إلى الانتماء على أنه حاجة اجتماعية.

والانتماء هو عبارة عن الشعور بالاندماج والانسجام فى نشاط يشترك فيه أفراد آخرين لتحقيق مصالح وأهداف مشتركة. ونستطيع أن نقرر أن الانتماء هو نبع داخلى قبل أن يكون شىء آخر وهو انعكاس بعيد للأفكار والقيم والمبادئ العامة والخاصة التى ينتهجها الفرد فى حياته.

وتتعدد المؤسسات التربوية التى يتعامل معها الفرد منذ ميلاده وطول فترات التربية المستمرة مدى الحياة والتى تشكل انتماءه الاجتماعى وليس من السهل تحديد الدور التربوى لكل مؤسسة تربوية من ناحية الكم أو من ناحية الكيف بمعزل عن بقية المؤسسات الأخرى.

وكلما تقدم المجتمع ازدادت الأدوار الاجتماعية لأفراده ويزداد بالتالى تعاملهم مع مؤسسات عديدة تسهم فى تربيتهم وفى إعادة تربيتهم وفى تكوين انتمائهم فى إطار الفلسفة العامة التى تحكم المجتمع.